احدى بناتهِ على عثمان فامر الفرافصة ابنَهُ ضبًّا فزوَّجها اياهُ وكان ضبّ مسلماً وكان الفرافصة نصرانيًّا وقد اوصاها قبل فراقها بما يحسن بها فعلُهُ اذا صارت بين نساء قريش . (قال) فلما حُملَت كرهت الغربة وحزنت لفراق اهلها فأنشأت تقول لاخيها ضبّ (من الطويل) :

أَلستَ تَرى يا ضَبُّ بالله انَّني مُصاحبةٌ نحو المدينة أَركبا
اذا قطعوا حَزْناً تحت ركابهم كما حرَّكت(١ ريحٌ يراعاً مُثَقَّبا
لقد كان في ابناء حصن بن ضمضم لك الويلُ ما يغني الحِباء المطنَّبا(٢
قضى الله حقًّا ان تموتي غريبةً بيثربَ لا تلقينَ اماً ولا أبا

ولابن عائشة المغني لحنٌ في هذه الابيات . ثمَّ ذكر ابو الفرج دخولها على عثمان فقال لها : ألا تكرهين ما رأيتِ من شيبي . فقالت : اني من نسوة احبُّ ازواجهن اليهنَّ الكُهول . وانَّها كانت من أحظى نسائهِ عندهُ . وفي كتاب البدء والتاريخ (٥ : ٢٠٢) انهُ اعطاها مائة الف من بيت المال

وكانت نائلة ابيَّة كريمة الطبع فلمَّا تآمر الناس على عثمان في السنة ٣٥ هـ (٦٥٦م) وحصروهُ اربعين ليلة صرفت نائلة زوجها عن نصيحة مروان بن الحكم فشتمها مروان وذكر نصرانيَّة والدها بقولهِ (الطبري ١ : ٢٩٧٤–٢٩٧٦) : « وما انت وذاك فوالله لقد مات ابوك وما يُحسن يتوضَّأ فقالت لهُ : مهلًا يا مروان عن ذكر الآباء تُخبر عن ابي وهو غائب تكذب عليهِ وانَّ اباك لا يستطيع ان يدفع عنهُ . أما والله لولا انهُ عمُّهُ (اي عمّ عثمان) وانهُ ينالهُ غمُّهُ اخبرتُك عنهُ ما لن اكذب عليهِ » . فاراد مروان ان يتعرَّض لها فقال عثمان : « لا تذكرنَّها بحرفٍ فأُسوِّدَ لك وجهَك فهي والله انصحُ لي منك » . فكفَّ مروان

وما لبث الناس ان تسوَّروا دار عثمان ومعهم السيوف يتقدَّمهم محمَّد بن ابي بكر فجلس عثمان والمصحف في يدهِ فنشرت نائلةُ شعرَها فقال لها عثمان : خذي

١) ويروى : كما زعزعت ٢) حصن بن ضمضم من اجداد نائلة . ويروى في نتيان حصن . . ما يجزي الحباء المحجَّبا

بخمارك فلعمري لدخولهم عليّ اعظم من حرمة شعرك. واهوى رجل اليه بالسيف. فأكبَّت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها فتمندها وقطع اصابعها ورلَّت فقتلوا اوراكها ثمَّ ضرب عثمانَ فقتله. قال الطبري(١ : ٣٠٠٨) : واخذت ابنة فرافصة حليًا فوضعتهُ في حجرها وذلك قبل ان يُقتَل فلما قُتل ناحت عليه وقالت ترثيه (من الطويل) :

ألا انَّ خير الناسِ بعد ثلثةٍ (١ قتيلُ التُجيبي الذي جاء من مصرِ
وما ليَ لا ابكي وتبكي قرابتي وقد غُيِّبت عنَّا فُضولُ ابي عمروِ (٢

فترى ما اظهرتهُ نائلة من الشهامة في الدفاع عن زوجها ولا شكَّ بانَّ ما استقتهُ من مناهل النصرانيَّة من المبادئ الشريفة هو الذي ارشدها الى بذل نفسها دون الخليفة زوجها على خلاف نسائه العشر. وقد روى في الاغاني(١٥ : ٧١)انَّ نائلة بعثت قميص عثمانَ المضرَّج بدمه مع النعمان بن بشير الى معاوية واهل الشام وكتبت الى معاوية كتاباً مطوَّلاً دوَّنهُ هناك وفيه قصف قتل عثمان وممَّا قالت ما حرفهُ :

انّي اقصُّ عليكم خبرَهُ لانّي كنتُ مشاهدةً امرَهُ كلَّهُ حتى قضى الله عليه. انَّ اهل المدينة حصروهُ في دارهِ يحرسونهُ ليلهم ونهارهم تماماً على ابوابه بسلاحهم يمنعونهُ كلَّ شيءٍ قدروا عليه حتى منعوهُ الماء . . . فمكث هو ومن معهُ خمسين ليلة واهل مصر قد اسندوا امرهم الى محمَّد ابن ابي بكر وعمَّار بن ياسر وكان عليّ (بن ابي طالب) مع المتضرِّعين من اهل المدينة ولم يقاتل مع امير المؤمنين ولم ينصرهُ ولم يأمر بالعدل الذي امرَ الله تبارك وتعالى به . . . فدخل عليه القوم . . . فقتلوهُ رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه وقد ارسلتُ اليكم بثوبه وعليه دمهُ . . . »

قال الطبري (١ : ٣٢٥٥) : « ولمَّا قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضَ الذي قُتل فيه مخضَّباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعةً بالبراجم اصبعان منها وشيء من الكفّ واصبعان مقطوعتان من اصولها ونصف الابهام وَضَعَ معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الاجناد وناب الناس اليه وبكوا سنةً وهو على

١) قولها «بعد ثلثة» تريد محمَّدًا وخلفيه ابا بكر وعمر. والتُجيبي هو كنانة بن بشير الذي ضرب عثمان على جبهته بعمود وضربه سعد بن حمران المرادي بالسيف

٢) ابو عمرو كنية عثمان. ويروى: وقد غيَّبوا عني

المنبر والاصابع معلّقة فيهِ وآلى الرجال من اهل الشام ألّا يأتوا النساء ولا يمسّهم الماء للغسل ولا يناموا على الفرش حتّى يقتلوا قَتَلة عثمان او تفنى ارواحهم» . وكان ذلك سبب خروج معاوية بن سفيان ومحاربتهِ لعليّ بن ابي طالب في صفّين . ومِمّا رواهُ ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣ : ٢٧٢) انّ معاوية بعث الى نائلة يخطبها فارسلت اليهِ : ما ترجو من امرأة جذماء؟ وقيل انها قالت لمّا قُتل عثمان : اني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن عثمان من قلبي . فدعت بفِهْر فهتمت فاها لتبقى ثابتة على عهد زوجها عثمان . قال النووي في تهذيب الاسماء (ص١٨٥٥) : «سمعت عثمان وروى عنها النعمان بن بشير وغيرهُ ... وولدت لعثمان امّ خالد وأروى وامّ ابان وكانت احظى نساء عثمان عندهُ في وقتها وتزوّجها وهي نصرانيّة واسلمت عندهُ على يدهِ»

وقد روى ابو الفضل احمد بن ابي طاهر في كتاب بلاغات النساء (ص ٧٠—٧٢) خطبةً خطبت بها نائلة في مسجد المدينة بعد قتل عثمان وهي متسلّبة في اطمار معها نساء من قومها والخطبة طويلة افتتحتها بقولها :

« معاشر المؤمنة واهل الملّة لا تستنكروا مقامي ولا تستكثروا كلامي فاني حُرّى عَبْرى رُزئتُ جليلاً وتذوّقتُ ثكلاً من عثمان »

ثمّ اطنبت في فضل زوجها ومحاسنهِ واردفتْ بتقريع اهل المدينة قائلةً :

« سفكتم دمهُ وانتهكتم حُرمَهُ واستحللتم منهُ الحُرَم الاربع حُرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام فليطلبنّ الذين سعوا في امرهِ ودبّوا في قتلهِ ومنعونا عن دفنه اللهمّ أنْ بئس للظالمين بدلاً واخم شرٌّ مكاناً واضعف جنداً لتتميدنّكم الشُبُهات ولتفرقنّ بكم المفرقات ولتذكرُنّ بعدها عثمان ولا عثمان وكيف بسخط الله من بعدهِ ... »

(قال) ثمّ اقبلت بوجهها على قبر النبي صلعم فقالت اللهمّ اشهد :

أيا قبرَ النبيّ وصاحبَيْهِ عذيري ان شكوتُ ضياع ثوبي(١
فاني لا سبيلَ فتنفعوني ولا ايديكمُ في منع حَوْبي

١) كنّت بضياع ثوبها عن فقدها لزوجها

١٤ ميسون بنت بَحْدل الكلبيَّة

هي امرأة أخرى من نصاري كلب وابوها بحدل بن أُنَيف من بني الحارثة بن جناب. وقد وصفها ابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهُ بالذكاء. وقالوا انَّها كانت لبيبةً وَرِعة وهي زوج معاوية بن ابن سفيان وام ابنهِ يزيد. قال ابن الكلبي في الجمهرة (خزانة الادب ٣: ٥٩٢) : « كان معاوية بن ابي سفيان بعث رسولًا الى بهدلة بن حسَّان بن عدي يخطب اليهِ ابنتهُ. فأخطأ الرسول فذهب الى بحدل بن أُنَيف فزوَّجهُ ابنتهُ ميسون» وكانت بدويَّة فلمَّا اتَّصلت بمعاوية ونقلها من البدو الى الشام ضاقت نفسها لمَّا تبرَّى عليها وكانت تكثر الحنين الى اناسها والتذكر لسقط رأسها فعذلها على ذلك وقالها: انتِ في ملكٍ عظيم وما تدرين قدرهُ وكنتِ قبل اليوم في العباءة. فقالت (من الوافر) :

لَبَيتٌ تَخفِقُ الأَرواحُ فيهِ ... أَحبُّ اليَّ من قصرٍ مُنيفِ (١
ولُبسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني ... احبُّ اليَّ من لبس الشُّفوفِ (٢
وأكلُ كُسَيرَةٍ في كِسرِ بيتي ... احبُّ اليَّ من اكل الرغيفِ (٣
وكلبٌ ينبَحُ الطُّرَّاقَ دوني ... أحبُّ اليَّ من قِطٍّ أَلوفِ (٤
وبَكرٌ يتبعُ الأَظعانَ صَعبٌ ... احبُّ اليَّ من بغلٍ زَفُوفِ (٥
واصواتُ الرياح بكلِّ فَجٍّ ... احبُّ اليَّ من نَقرِ الدُّفوفِ
وخُرقٌ من بني عمِّي نحيفٌ ... احبُّ اليَّ من عِلجٍ عَلِيفِ (٦

١) ارادت بالبيت خيمة البدو . وتخفق اي تضطرب . والأرواح جمع ريح كالرياح . والمنيف العالي ٢) تقرّ اي تسكن وترتاح من القرار. والشفوف جمع شِفّ وشَفّ وهو الثوب الرقيق ٣) والكُسَيرة تصغير كسرة الخبز. والكِسر طرفُ الجباء من الارض ٤) الطُّرَّاق جمع طارق وهو الآتي ليلًا. ويروى. عني ٥) البكر الفتيّ من الابل. والاظعان جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج. والزَّفوف المُسرع ٦) الخرق الكريم. العلج الصلب الشديد من حمار الوحش. والعليف المسمَّن. قال الاعلم: تُعني بهِ معاوية لقوَّتهِ وشدَّتهِ مع سِمَنهِ ونعمته. ويروى العنيف بالنون ويروى النَّليف وهو الذي يصيح لينتهِ بالغالية

خشونةُ عيشتي في البدوِ أشهى ٠ الى نفسي من العيش الظريفِ
فما ابغي سوى وطني بديلًا فحسبي ذاك من وطنٍ شريفِ

فلمَّا سمع معاوية الابيات قال لها: ما رضيتِ يا ابنة بجدل حتى جعلتني علجاً طيفاً. قال اللخمي: « فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال لها: كنتِ فبنتِ. فقالت: لا والله ما سُرِرْنا اذ كنَّا ولا أسِفْنا اذ بِنَّا. ويقال انَّها كانت حاملًا بيزيد فوضعتهُ في البرِّيَّة فمن ثمَّ كان فصيحاً ». (قلنا) وفي خبر طلاقها المذكور نظرٌ والاصحّ عندنا ما روى الكلبيّ عن عوانة (الخزانة ٣: ٥٩٤) قال: «لمَّا زُفَّت ميسون بنت بجدل من بادية كلب الى معاوية وهو بريف الشام ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها فسمعها ذات ليلة تقول هذه الابيات فقال: انا والله العلج. وازداد بها عجباً واليها ميلًا». وذكر ابن الاثير في تاريخهِ انَّ ميسون ولدت لمعاوية ابنةً اسمها أمة ربِّ المشارق ماتت صغيرةً

(لها بقيَّة)

رحلة رسولية

في بلاد الجليل الاعلى

لحضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ

خذ خارطة سوريا وفلسطين ايها القارئ اللبيب وارسم عليها خطًّا يمتدّ من رأس الناقورة الى جنوب بحيرة الحولة وما فوق نهر الاسكندرونة في القرب من قيصريَّة فلسطين الى مَصبّ الارنون في الاردن فتحدّد شمالًا وجنوباً ابرشيةَ عكا والجليل الاعلى للروم الكاثوليك. امَّا حدودها من الشرق الى الغرب فهي ما بين بحيرة طبرية والاردن وبين البحر المتوسط

وبين هذه الحدود ما ينيف على ثلاثين رعيَّة يرأسها صاحب السيادة المطران